مقدمة :

إن دراسة التنشئة الاجتماعية تحتل أهمية خاصة لمعلمة رياض الأطفال، وأهمية عامة لكل أفراد المجتمع ، حيث إن عملية التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات تأثيراً في الأبناء على اختلاف مراحلهم العمرية، لما لها من دور أساسي في تشكيل شخصياتهم وتكاملها.

تعتبر الطفولة مرحلة من أهم مراحل نمو الشخصية الإنسانية ، وهي تتأثر بمجموعة من المؤثرات نتيجة نوعية التنشئة التي يتلقاها الطفل، ومن ثم وجب علي معلمات المستقبل فهم حقيقة التنشئة الاجتماعية، والمؤسسات التي تقوم بها ، ودور كل مؤسسة من هذه المؤسسات، ولذا يعد هذا المقرر من المقررات ذات الأهمية الخاصة ليس في إعداد المعلمة فحسب، بل في إعداد كل فتاة ، وكذلك كل فتي ، حيث إنهم آباء وأمهات المستقبل، ومن ثم يصبح الاهتمام به ضرورة خاصة، وعاملا من عوامل نجاحك في حياتك المستقبلية.

وفي ظل المتغيرات السريعة التي يشهدها عصرنا الحالي، تصبح للتنشئة الاجتماعية أهميتها ، ولدينا في مجتمعاتنا العربية الإسلامية تزداد هذه الأهمية، لما تواجهه مجتمعاتنا من محاولات لسلب هويتها المميزة لها، والتنشئة الاجتماعية السوية هي التي يمكن لنا عن طريقها تحقيق الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، وردع محاولات الهيمنة والغزو الفكري والثقافي كافة.

وأعود فأذكر بأن عملنا في مجال التربية رسالة يجب علينا أن نؤديها بحقها، وسوف نسأل عنها يوم الحساب (قل لي: كيف يعد المعلم والمعلمة في مجتمع ما؟، أقول لك: ما مستقبل هذا المجتمع)

المؤلف

التنشئة الاجتماعية

يولد الطفل عاجزا عن إشباع حاجاته البيولوجية، ويصرخ إذا شعر بالجوع أو البلل، في أي مكان يكون فيه دون أي اعتبارات للمكان والظروف المحيطة به، ويذكر أن يوليوس قيصر حاكم الروم كان في احتفال عام، يحمل طفله (قيصرون) فبال عليه فأدرك يوليوس قيصر ذلك، فاستدرك الموقف وهو بين حاشيته وعقب بصورة فكاهية، فقال: أنا أحكم العالم وأمك تحكمني وأنت تحكم أمك ، فأفعل ما شئت! .

إن كانت تلك هي الحالة التي يكون عليها الطفل في الشهور الأولى من عمره، فنجدها تتغير عما كانت عليه ، عندما يصل إلي مرحلة المدرسة الابتدائية أو قبلها بقليل، ويظهر الفرق واضحا بين الحالتين، أي يشبع حاجاته البيولوجية ذاتها، بأسلوب مختلف يتفق مع ما يرتضيه المجتمع ، ويكون حريصا كل الحرص على ألا يخرج عن ما حدده المجتمع من قواعد وآداب وتقاليد لإشباع

هذه الحاجات، ما الذي فعل به هذا التغير؟ ، أنها عملية التنشئة الاجتماعية التي تعرض لها، أو كما تسمى بعملية التطبيع الاجتماعي .

ويعد موضوع التنشئة الاجتماعية من المواضيع الهامة التي تناولها الباحثون في مجال التربية و علم النفس وعلم الاجتماع سواء من ناحية المضامين أو الأساليب، نظراً لأهمية هذا الموضوع في إعداد الأجيال القادمة التي ستحافظ على استمرارية وجود المجتمع مادياً ومعنوياً.

مفهوم التنشئة الاجتماعية

تعدد ت مفاهيم التنشئة الاجتماعية ، ومن المؤكد أن المفاهيم التربوية والاجتماعية يدور حولها الخلاف، فهي ليست كالمفاهيم في العلوم الطبيعية التي يلتزم فيها المشتغلون بالعلوم الطبيعية بمفهوم واحد ، واختلاف المفاهيم فيما يتصل بالتربية والتنشئة الاجتماعية أمر طبيعي نتيجة للارتباط الوثيق بينهما وبين المجتمع الذي تقوم بوظيفتها فيه،ومن ثم تختلف باختلاف المجتمع،

إن أخذنا الفرد الذي هو محور التربية والتنشئة الاجتماعية نجد أن الفرد العربي لا يختلف فسيولوجيا عن الفرد الأمريكي أو الأوربي وغيره، فإن ما يصلح لعلاج الأجهزة العضوية الخاصة بالفرد الأمريكي تصلح للفرد العربي، أما من الناحية الاجتماعية فإن ما يصلح لتنشئة الفرد الأمريكي لا يصلح لتنشئة الفرد العربي، بسبب اختلاف العقيدة والقيم والعادات .

يمكن القول بأن عملية التنشئة الاجتماعية هي العملية التي تتشكل فيها معايير الفرد ومهاراته ودوافعه واتجاهاته وسلوكه لكي تتوافق مع تلك التي يعتبرها المجتمع مرغوبة ومستحسنه لدوره الراهن أو المستقبلي في المجتمع أو هي عملية تشكيل الشخصية الاجتماعية للفرد من خلال التفاعل الاجتماعي المستمر في المواقف الثقافية المتعددة سواء بطرق مقصودة مباشرة أو غير مقصودة غير ليتمكن من التوافق والتكيف مع تلك الثقافة وهي عملية مستمرة تبدأ منذ اللحظة الأولى لميلاد الفرد ولا تنتهي إلا بانتهاء حياته.

نعرض لبعض مفاهيم التنشئة الاجتماعية :

يمكن تعريفها " بأنها عملية التفاعل الاجتماعي التي يكتسب عن طريقها طرق التفكير ، والشعور والعمل الضرورية للمشاركة الفعالة داخل المجتمع. كما أنها العملية التي عن طريقه نكتسب الثقافة بكل ما تتضمنه من معايير وقيم ورموز"(١).

ويري (بارسونز)" أن التنشئة تعكس عدد من الميكانيزمات التي يتعرض لها أعضاء المجتمع طوال حياتهم، حتى يتملكوا القدرة على التوافق الاجتماعي في بيئتهم، بينما ترى (مارجريت) أن عملية التنشئة الاجتماعية إطارا تطبيقيا يمكن بمقتضاه أن يتوافق الأفراد ويتجانسوا مع الآخرين حيث إن صفاتهم الاجتماعية تتشكل فقط من خلال الشخصية العامة لمجتمعهم"(٢).

يرى (مصطفى الخشاب) بأنها " من أولى العمليات الاجتماعية ومن أخطرها شأنا في حياة الفرد لأنها الدعامة الأولى التي ترتكز عليها مقومات شخصيته"(٣).

أما (نبيلة الشوربجي) ترى" إنها العملية التي يتحول بها الفرد إلي شخص، والفرق بين الفرد والشخص، أن الشخص هو الإنسان الاجتماعي، والفرد هو مجرد الوجود ، أي الإنسان في خصائصه الذاتية لا الاجتماعية ، تلك العملية التي يصبح بها الفرد عضوا في مجتمع الكبار يشاركهم نشاطهم، ويمارس حقوقه وواجباته"(٤).

البشري منذ ولادته وله خصائص كامنة تفرض نفسها علي أساليب وطرائق المنشئين، وتمثل الجانب الإيجابي لدي الكائن البشري، نتفق مع هذا الرأي ، وندلل على ذلك بتلك الاختلاف التي تظهر علي الأبناء رغم وجودهم في بيئة اجتماعية واحدة، وخضوعهم لعملية تنشئة اجتماعية واحدة ، حتى التوائم المتماثلة نجد بينهم فروق، يرجعها علماء علم النفس إلي ما يسمونه بالبيئة النفسية لكل منهما.

مما سبق يتضح أن التنشئة الاجتماعية عملية تعليم وتعلم، وعملية شخصنة أي تحويل الفرد البيولوجي إلي شخص اجتماعي، وعملية إكساب الفرد لثقافة مجتمعه.

أولا : التنشئة الاجتماعية عملية تعليم وتعلم

عن طريق التنشئة الاجتماعية يتعلم الفرد ما يؤهله للعيش في مجتمعه، من معايير خلقية، ومهارات ، واللغة، حيث تعرف بأنها " عملية تعليم وتعلم تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلي إكساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية ، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية للمجتمع"(٧)، فهي عملية تعلم وتعليم تهدف إلى إكساب الفرد طفلاً، فمراهقا، فراشدا، فشيخا سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي ومن عمليات التعليم التي تتم عبر التنشئة الاجتماعية :-

يرى (معن العمر) أنها تعني" تحويل الكائن البيولوجي إلي شخص اجتماعي، عبر جماعات اجتماعية متنوعة في نوعها لكنها مترابطة في وظائفها"(٥).

بتحليل المفاهيم السابق عرضها، يتضح أن التنشئة الاجتماعية أحدى العمليات الاجتماعية التي تسهم بشكل إيجابي في ترويض الفرد، ومن ثم تساعده على التكييف مع مجتمعه وتقبل الثقافة السائدة فيه، والالتزام بعدم الخروج عن المألوف في مجتمعه، وفي ذات الوقت تجعل منه شخصية مقبولة من المجتمع، حيث إنها تحدد له الأدوار الاجتماعية وتغرس فيه كيفية التصرف المقبول من المجتمع عند أداء دور من هذه الأدوار الاجتماعية.

من المفاهيم التي وردت في التنشئة الاجتماعية، ما عرض له (علي فرغلي) "بأنها العملية التي بواسطتها يصبح الوليد العاجز واعيا بذاته تدريجيا، وشخصا حسن الإطلاع، ومتمرسا على أساليب الثقافة التي ولد في إطارها، على أن التنشئة الاجتماعية ليست نوعا من (البرمجة الثقافة) يتشبع الطفل خلالها بشكل سلبي ما هو على صلة به من مؤثرات، فالوليد الجديد لديه منذ حداثة عهده من الحاجات والمتطلبات التي تؤثر في سلوك هؤلاء القائمين على إشباعها، المولود البشري منذ حداثة عهده كائن إيجابي"(٦).

رغم أن هذا المفهوم يشترك مع المفاهيم السابقة في أن التنشئة الاجتماعية هي العملية التي تنقل عن طريقها ثقافة المجتمع للفرد، إلا أنه تفرد عن المفاهيم السابقة في أن العملية ليست عملية تلقي سلبي من قبل المنشأ، بل أن الكائن

١. اكتساب المعايير الخلقية

يبدأ المجتمع عن طريق الأسرة والمؤسسات التربوية الأخرى بعملية تعليم الفرد، القيم الخلقية التي المتفق عليها بين أفراد المجتمع، وأيضا إكسابه محددات السلوك ، فيبدأ منذ مرحلة الطفولة يتعلم ذلك. ثم يصير جزء لا يتجزأ من شخصيته.

٢. تعلم المهارات

إذا تذكرنا قصة الطفلتين الذئبتين كما كان يطلق عليهما ، وكان قد تم العثور عليهما في غابات الهند وأطلق عليهما أسم (كمالا وأمالا) ، نجدهما كانتا تأكلان اللحوم غير المطهية، وفشلت محاولات تنشئتهما لتعلم طرق تناول الطعام أو ارتداء الملابس والنوم علي الأسرة أو داخل الحجرات وغير ذلك من المهارات الضرورية سواء الخاصة بطرق إشباع الحاجات البيولوجية، أو المهارات الاجتماعية ، وذلك يدلنا على أن التنشئة الاجتماعية هي التي تقوم بتعليم المهارات الضرورية في سني الطفولة الأولى، ومنها مهارة تناول الطعام وآدابه، والمهارات الاجتماعية العديدة.

٣. اكتساب اللغة والمعلومات

إذا كان المولود يمتلك الاستعداد للكلام فطريا ، لكنه لا يعرف لغة بعينها ، ويكتسب اللغة عن طريق معايشته للمجتمع، ويكتسب المفردات

اللغوية ومن ثم يتكون قاموسه اللغوي، وعن طريق اللغة تتاح له الفرصة لاكتساب العديد من المعارف والمعلومات.

ثانيا : التنشئة عملية تحويل الكائن البيولوجي إلي كائن اجتماعي

سبق وأن أوضحنا أن الفرد البيولوجي يتحول إلي شخص عن طريق التنشئة الاجتماعية، " أي تحويل الكائن البيولوجي (الطفل الوليد) إلي شخص اجتماعي، أي بعد ما يقوم المنشئ بإكساب المنشأ معايير ومعتقدات وسلوكيات الجماعة التي ينتمي إليها .. فالطفل الولي لا يكون ممتلكا ذاتا اجتماعية عند ولادته، وإن جل سلوكه يكون في هذه المرحلة سلوكا حيوانيا، يكون مدفوعا بغرائزه الفطرية البيولوجية"(٨)، وهذه العملية الاجتماعية تعد من أهم المهام التي تقوم بها التربية، كما يمكن تفسيرها بأن الفرد ينشأ في بيئة معينة مزودا بحاجات ودوافع أولية يسعى لإشباعها ، وفي أثناء هذا الإشباع يكتسب دوافع جديدة، إذ تنمو وتظهر نتيجة لانتماء الفرد إلي مجتمع معين، وتعلم هذا الفرد من هذا المجتمع، ومن الإطار الاجتماعي الذي يعيش فيه ويتفاعل معه،وتسمى بعملية التطبيع الاجتماعي ، لو تصورنا أن الفرد ظل علي حالته الأولى التي كان عليها عند المولد، هل يتقبل المجتمع تصرفاته؟ مما لا شك فيه لن يتقبله المجتمع، فيصير منبوذا ولا قدرة له للتعايش مع المجتمع.

فالتنشئة الاجتماعية تهدف إلي الارتقاء بالفرد البدائي إلي النضج، الذي يمكنه من التوفيق بين المتطلبات الاجتماعية والحاجات الفردية، ومن

ثم لا يصطدم بقوانين المجتمع، ويكتسب معايير المجتمع، ويتعلم كيف يتعامل مع الدور الاجتماعي الذي يقوم به، ومن ثم يتوافق مع ما يواجهه من مواقف اجتماعية.

ثالثا: التنشئة الاجتماعية والثقافة(التنشئة الثقافية)

هناك ارتباط وثيق بين الثقافة والمجتمع، إلي حد يجعل من الصعوبة الفصل بينهما، رغم أنه يمكن التفرقة بينهما اصطلاحا، " ولا توجد ثقافات دون مجتمعات، وبالمقابل لا توجد مجتمعات دون ثقافة"(٩)، فالثقافة لمجتمع ما تعني عاداته وتقاليده وعقائده وأساليب المعيشية من ملبس واحتفالات الزواج ونمط الحياة الأسرية والعلاقة بين أفراد العائلة وتشتمل أيضا على الجوانب المادية من مساكن وسلع وغيرها...، منذ فترة ليست بالبعيدة كنا نعيش في خيام واليوم نسكن في بيوت أسمنتية، ونستخدم مكيفات للهواء، هذه هي ثقافتنا القديمة وثقافتنا الحديثة، يتضح مما سبق التداخل بين المجتمع والثقافة وتأثيرهما أو علاقتهما بالشخصية، وهذا ما دفع " (تيماشيف) إلي التأكيد على أهمية دراسة كل من الثقافة والمجتمع والشخصية لعالم الاجتماع، فقد أصبح اليوم واضحا مدي التكامل بين هذه العوامل الثلاثة السابقة، ومن ثم فإن الباحث الذي يحاول دراسة أحد هذه العوامل بمعزل عن غيرها من العوامل الأخرى، فإنه لم يحقق هدفه من الدراسة" (١٠).

تأكد لنا الآن العلاقة بين المجتمع والثقافة والتداخل بينهما ، مما يجعل من الصعوبة إمكانية الفصل بينهما ، ومن التعارف التي تؤكد ذلك " تعريف (فيليبس) للثقافة على أنها نسق من المعايير والقيم، وكذلك تعريف (هوبل) بأنها ، ذلك الكل المتكامل من أنماط السلوك المتعلمة التي تميز أفراد المجتمع والتي لا تنتج عن العوامل الوراثية البيولوجية"(١١)،أن كانت التعاريف السابقة تؤكد على أنها تمثل أنماط السلوك البشري وأنها تكتسب ، فإن(نبيلة الشوربجي) تؤكد على ذلك إذ تعرف الثقافة " بأنها النماذج التي ينشئها المجتمع أو يستعيرها من مجتمع آخر ليستعين بها في حياته الاجتماعية ، فهي تقوم أولا علي العقل والتفكير وتختلف عن الأفعال الغريزية التي يرثها الإنسان بشكل فطري،فهي كلها وليدة الاختراع الاجتماعي، وهي تنقل فقط عن طريق الاتصال والاكتساب"(١٢).

ماهية الثقافة

نظرا لما لاقته الثقافة من تصنيفات وتعريفات عديدة ، فأنه لا يوجد تعريف مانع جامع للثقافة ، ومن بين التعريفات التعريف الواسع الذي قدمه المؤتمر الدولي للسياسات الثقافية "بمكسيكو" في أغسطس ١٩٨٢الذي عرفها" بأن الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها اليوم على أنها جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها ، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة ، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والمعتقدات"(١٣).

يعد هذا التعريف الذي وضعه المؤتمر من التعريفات الشاملة التي تضمنت الثقافة ببعديها المادي والمعنوي، ويتفق مع تعريف (تايلور) الذي يعرفها بأنها" ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في مجتمع ما"(١٤) .

إن كل ما سبق يوضح لنا أهمية الثقافة في تنشئة الفرد وإدماجه في المجتمع، وبدون تحقق التنشئة الثقافة لن تتم عملية إدماج الفرد في مجتمعة، أي لن تتحقق التنشئة الاجتماعية السوية ، والتنشئة الثقافية للفرد تعد الركيزة الرئيسة في بناء المجتمع .

عناصر الثقافة

حيث إن للثقافة هذه الأهمية في عملية التنشئة الاجتماعية، ولا نبالغ إن قلنا بأنها عماد التنشئة الاجتماعية، ومادتها الخام، ينبغي أن نتعرف على عناصرها، ومما يجب أن يؤخذ في الاعتبار أنه " على الرغم من تشرب الأفراد للثقافة السائدة في مجتمعهم، إلا أنهم يختلفون فيما بينهم في نوعية الثقافة التي يكتسبونها، فالفرد يختار من ثقافة مجتمعه ما يناسبه، ولا يعني هذا أنه لا توجد عناصر ثقافية لها صفة العمومية ، فهناك بعض العناصر التي لها صفة العمومية، وأخري لها صفة الخصوصية"(١٥).

ولهذا يقسم (حسن الفقي)عناصر الثقافة إلي ثلاث مجموعات متميزة وهي:(١٦)

١. عموميات الثقافة

وتشتمل على العادات والتقاليد والأفكار وأنماط السلوك التي يشترك فيها أفراد المجتمع ، فاللغة التي يستخدمها الناس، وطريقة التحية، والأطعمة والملابس والمعتقدات الدينية فكلها من العموميات ، أي أنها عامة ويشترك فيها أفراد الثقافة الواحدة.

٢. خصوصيات الثقافة

تضم العناصر الثقافية التي يمتلكها الكبار الذين ينتمون لطبقة معينة أو فئة محددة، وذلك لأنه يوجد بكل مجتمع أشياء لا يعرفها إلا أفراد مجموعات معينة من الناس كأسرار المهنة ،والأفكار والعادات وأساليب السلوك التي تميز فريقا من المهنيين في مهنتهم عن فريق أخر.

٣. العناصر البديلة

تتمثل العناصر الثقافية التي تشيع بين فئة قليلة من أعضاء المجتمع نتيجة اتصالهم بالثقافات والمجتمعات الأخرى، ويدخل تحت العناصر البديلة الأفكار والآراء التي يجاهر بها رجال الفكر والفلاسفة و"الموضات" الخاصة بأزياء النساء والرجال.

و إن انتماء الفرد لمجتمع ما يعني انتمائه لثقافته، ومن ثم يكون الارتباط بالعموميات الثقافية تحقيقا لهذا الانتماء، ووسيلة ذلك هي التربية عن طريق أحدي عملياتها وهي التنشئة الاجتماعية.

* خصائص التنشئة الاجتماعية

يقوم المجتمع الإنساني بعملية التنشئة الاجتماعية، وهي عملية تربوية ذات علاقة بكل من الفرد والمجتمع والثقافة، ومن ثم فإنها تتميز ببعض الخصائص ومنها :-

١- إنها عملية اجتماعية لا تتم في فراغ، وإنما تتم في مجتمع، وهي قائمة على التفاعل المتبادل بينها وبين مكونات البناء الاجتماعي.

٢- هي عملية إنسانية فالتنشئة الاجتماعية تهدف إلي تشكيل الفرد اجتماعيا، وهي تتم في إطار إنساني فالمنشأ إنسان والمنشئ إنسان، أي هي نتاج التفاعل الإنساني، ويتميز بها المجتمع الإنساني عن غيره من المجتمعات.

٣- إنها عملية نشاط، فهي ليست وراثية بل مكتسبة، وتتم عن طريق تفاعل الفرد مع الجماعة، وعلى الفرد أن ينشط لاكتساب الخبرات الاجتماعية ، فهي عملية نشاط من المنشأ والمنشئ.

٤- هي عملية مستمرة، تبدأ مع بداية الحياة وتنتهي بانتهائها، فالفرد طيلة حياته في عملية تنشئة مستمرة، رغم أن التنشئة الاجتماعية تتركز في تنشئة الصغار من الناشئة، إلا أن هذا لا يعني أنها تنتهي عند مرحلة معينة من العمر، وخاصة نتيجة للتغيرات السريعة في المجالات كافة التي يتميز بها عصرنا الحالي، أصبحت التنشئة الاجتماعية مستمرة لإكساب الأفراد المستحدثات الجديدة، بل أصبحت ضرورة ملحة ليتعايش الإنسان مع

المجتمع، وعلي جانب أخر يتطلب تعدد الأدوار تنشئة كل فرد للدور الجديد الذي يمارسه، كما أن لكل فترة عمرية متطلباتها الاجتماعية التي ينبغي أن يكتسبها الفرد، ولذلك فأن عملية التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة.

٥ - عملية نسبية متغيرة تختلف باختلاف الزمان والمكان، وكذلك باختلاف الطبقات الاجتماعية داخل المجتمع الواحد وما تعكسه كل طبقة من ثقافة فرعية، كما إنها تختلف من بناء اجتماعي واقتصادي لآخر كما أنها تختلف من مجتمع إلي مجتمع تبعا للثقافة السائدة، كما أنها تتغير تبعا لنوع الجنس، والمرحلة العمرية، والتغييرات التي تلحق بثقافة المجتمع ونشاطه.

٦- عملية ديناميكية، فالفرد خلال عملية التنشئة يؤثر ويتأثر في الوسط الذي يعيش فيه.

* أهداف التنشئة الاجتماعية

تهدف التنشئة الاجتماعية إلي إكساب الفرد معاير مجتمعه وثقافته، والوسائل المقبولة لإشباع حاجاته البيولوجية، وطرق ضبط انفعالاته النفسية، ولكل مرحلة وكل دور اجتماعي أهداف تحدد شكل التنشئة الاجتماعية، ومن هذه الأهداف:

١- تهدف عملية التنشئة الاجتماعية إلي توحد الطفل مع مجموعة الأنماط الثقافية، وأهم هذه الأنماط الثقافية هي أنماط القيم الاجتماعية والجمالية والأخلاقية.(١٧)

٢ـ التماسك الاجتماعي: عندما يتشرب الفرد قواعد ومعايير وقيم مجتمعه، بواسطة التنشئة الأسرية ، عندئذ يندفع للاشتراك بقاسم مشترك أكبر مع أبناء مجتمعه المتشربين بقواعد وقيم مجتمعه، ويتبلور ذلك في مشاركة وجدانية تعاونية فيما بينهم وعندها يتحقق التماسك الاجتماعي.(١٨)

٣ـ تحويل الفرد البيولوجي إلي شخص اجتماعي .

٤ـ ضبط دوافع الفرد، وتزويده بمقومات الحياة الاجتماعية مما يساعد على دمجه في المجتمع.

٥ـ تحقيق التفاعل بين الثقافة والفرد حيث تمارس الثقافة ضغطا علي طبيعية الفرد البيولوجية من جهة، كما تمارس إكراها على خصائصه الشخصية من جهة أخرى، وتسعى التنشئة الاجتماعية إلي تحقيق التواصل والتفاعل بين الجانب الفردي والجانب الاجتماعي، ثم تحقيق التكامل بين الإنسان كفرد والقيم الثقافية السائدة، وبفضل هذا التكامل يتوقف إحساس الفرد بالقبول أو الرفض الاجتماعي الذي تمثله المؤسسات الاجتماعية القائمة.(١٩).

٦ـ إعداد الفرد للمواطنة ، إن تنمية الولاء والانتماء للوطن لا تتم إلا عن طريق التنشئة الاجتماعية ، والمواطنة هي الانتماء إلى أمة أو وطن وتعرف "بأنها الشعور بالانتماء والولاء للوطن وللقيادة السياسية التي هي مصدر

الإشباع للحاجات الأساسية"(٢٠) وهذا الشعور يولد الفرد مجردا منه، ثم يكتسبه خلال مراحل نموه نتيجة للتفاعل الاجتماعي مع المحيطين به.

٧. تهدف التنشئة الاجتماعية إلي الحفاظ على التراث الثقافي للمجتمع، وتعمل على نقله إلي الأجيال الناشئة.

٨. إكساب الاتساق السلوكي، عند التنشئة يكتسب الطفل تهذيب سلوكه وتنسيقه مع متطلبات المجتمع الذي يعيش فيه، مثل تعلمه كيف يأكل بطريقة يقبلها مجتمعه، أو يمتنع عن أكل بعض الأنواع الغذائية التي يحرمها مجتمعه، مثل عدم أكل لحم الخنزير المحرم أكله في الدين الإسلامي، أو شرب شوربة الكلاب المفضلة من قبل المجتمع الكوري، أو يتعلم كيف ينظف جسمه، وكيف يضبط رغائبه وغرائزه الجموحة، ومثل هذه السلوكيات يجب أن تكون منضبطة ومتحكم بها من قبل ثقافة المجتمع لكي يكون مقبولا من مجتمعه.(٢١)

٩. بلورة طموحات مأمولة، إذ يتعلم الطفل عبر التنشئة الاجتماعية ما هو مفيد ونافع وما يجب أن يقوم به من أجل كسب احترام الآخرين، فإذا كان المجتمع يقدس المعتقدات الدينية، فإن عليه اعتناق هذه المعتقدات وممارستها فعلا وأن يصبو في التعمق فيها والالتزام بها لتخدم أفكاره الطموحة التي تخدم المجتمع.(٢٢)

١٠. تنمية مفهوم الذات، إن أهم المحددات الأساسية للشخصية هي مفهوم الذات وهي جملة المعتقدات التي يحملها الشخص حول ذاته، والقيمة التي

تعطيها لتلك المعتقدات وهي نتائج معتقداته الذاتية، والبيئة المحيطة به. ويتكون مفهوم الذات عند الطفل بعد السنة الأولى من عمره، ويظهر في سلوكه .

شروط نجاح عملية التنشئة الاجتماعية

يتوقف نجاح التنشئة الاجتماعية علي عدد من العوامل التي يجب على القائمين بالتنشئة الاجتماعية مراعاتها، لضمان نجاح عملية التنشئة الاجتماعية، ومن هذه العوامل :ـ

١. الانطلاق من خلفية أساسية

لا تقوم العمليات الاجتماعية التربوية من فراغ، بل لابد لها من أسس ومعايير تنطلق منها، ومن أسس التنشئة الاجتماعية العقيدة الدينية للمجتمع، ثقافة المجتمع المتمثلة في عاداته وتقاليده وقيمه، أهداف المجتمع وتطلعاته، ويجب على المنشئين أن يضعوا نصب أعينهم هذه الخلفيات وهي التي تحدد ملامح التنشئة ونوعها، وتفشل التنشئة الاجتماعية إذا حادت عن عقيدة المجتمع وعاداته وتقاليده وقيمه وأهدافه .

٢. الشمولية والتكامل

تتم عملية التنشئة الاجتماعية بصورة شاملة متكاملة، أي لا يمكن أن تنجح التنشئة الاجتماعية إذا ارتكزت على القيمي وأهملت الجانب العقائدي، أو أولت جل اهتمامها بتنمية العقل دون الاهتمام بالجانب

الوجداني ، لماذا؟ لأن المنشأ إنسان والإنسان له جوانب عديدة يجب الاهتمام بها معا وأن ينال كل جانب من الرعاية م ما يناله الجانب الأخر، علي سبيل المثال أن عنيت التنشئة بالجانب الجسمي وكيفية إشباع الحاجات الأولية ، وأهملت الجانب القيمي والعقائدي ننتظر أن يكون المنشأ عبر هذه التنشئة إنسان غير اجتماعي ، أناني، لا هم له إلا إشباع غرائزه، فهو أقرب للحيوان منه إلي الإنسان.

ومن ثم يكون الاهتمام بكامل جوانب الإنسان، وأن تشتمل التنشئة على المحددات الثقافية والاجتماعية والعقائدية كافة.

٣. التدرج

أن أي عملية من العمليات التربوية لابد وأن تتسم بالتدرج، أي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نعلم الطفل كل ما ينبغي أن يتعلمه مرة واحدة، وأيضا لا نستطيع إكسابه القيم العليا وتكوين الضمير، قبل أن نكسبه كيفية إشباع حاجاته الأولية بطريقة صحيحة مقبولة من المجتمع، والتدرج يمكن الفرد من الفهم الجيد والتلقي الصحيح،

٤. الالتزام بثقافة المجتمع وأيدلوجيته

سبق وأن أوضحنا العلاقة الوثيقة بين الثقافة والمجتمع، ومن ثم ينبغي في عملية التنشئة الاجتماعية الالتزام بثقافة المجتمع واتجاهه الفكري، فإذا كانت التنشئة تهدف إلي غرس فكر وثقافة المجتمع وتقاليده وعاداته وقيمه في الفرد حتى يتسنى له الاندماج في المجتمع، ويصبح فردا مقبولا من

الجماعة، هل هناك تنشئة يمكن أن تخالف ذلك؟ نعم هناك بعض الفئات التي تخرج عن المجتمع وتقوم بتنشئة أبنائها على نمط يخالف الأنماط السائدة في المجتمع، ويعود ذلك إلي أسباب عديدة منها اختلاط هذه الفئة بمجتمعات أخرى، أو محاولتها تقاليد ما تراه في مجتمعات أخرى، أو اعتناق أفرادها لفلسفات ومبادئ غريبة عن المجتمع، وتكون نتيجة ذلك إحداث تنشئة غير سوية، ورفض المجتمع لهذه الفئة، ويتولد لدى أفرادها إحساسا بالنبذ والاغتراب .

٥. عصرية مضمون التنشئة الاجتماعية

ما المقصود بعصرية مضمون التنشئة الاجتماعية؟ أي أن تكون ملائمة للعصر ومستجيبة لمتطلباته ، والمشكلة التي تواجهنا في مجتمعاتنا العربية أن البعض في سعيه نحو التنشئة يلجأ إلي أساليب وأنماط تنشئة بعيدة عن متطلبات العصر، ويعتقد أنه ينشئ تنشئة سوية، ولكن هو في الواقع يسبب صدمة لمن ينشئه حين يتعرف على الواقع المعاش في عصره ويجد بونا شاسعا بين ما نشئ عليه وبين ما يجب عليه أن يعايشه.

وليس معنى التجديد الإطاحة بالقيم والتقاليد كافة، بل أن التجديد هو تطوير في مضمون التنشئة وأساليبها للتلاؤم مع المعطيات الحياتية المعاصرة، و في ظل المتغيرات السريعة التي يشهدها عصرنا تبرز الأهمية لأساليب التنشئة الاجتماعية التي يستخدمها المنشئون بما يتوافق مع أسس وثقافة مجتمعاتهم، فإننا نريد أن نحافظ علي هويتنا العربية الإسلامية وفي ذات الوقت نتعامل مع هذه المعطيات العصرية، وهذه عملية ليست من السهولة التوفيق بين متطلبات

الهوية ومتطلبات العصر، وتحتاج إلي إعادة تدريب للمنشئين حتى يتمكنوا من التعامل مع الأساليب والمضامين التي تحقق ذلك، وما نراه على الساحة التربوية هي عمليات كما أطلق عليها (الدكتور /سعيد إسماعيل علي) تلفيقية وهم يسمونها توفيقية.

وهذه جزء من إشكالية العقل العربي في موضوع الأصالة والمعاصرة، " فلقد أصبح الشغل الشاغل للعقل العربي هو التساؤل عما ينبغي أن يكون عليه موقفه، هل يحتمي بتاريخه وتراثه الماضي، ويتخذ منه درعا أو شرنقة تدفع عنه غوائل التيار الكاسح المتدفق من بلاد غربية متفوقة، أم يساير التيار الجديد أملا في أن يكون له نصيبا من ذلك التقدم المادي والمعنوي"(٢٣)، نقول أن حل هذه المعضلة أن نغرس في نفوس الناشئة المبادئ والقيم الإسلامية، وفي ذات الوقت نفتح أمامهم المجال لمعرفة الآخر، والأخذ عنه بما لا يمس الأسس العقائدية، والقيم العربية الأصيلة، ونبتعد عن بعض الشكليات والعادات التي تعرقل مسيرة التقدم، وكما أقول دائما :أغرس العقيدة الصحيحة والقيم الإسلامية في نفوس أبنائك، ودع لهم حرية الاختيار، مثل مشكلة الفضائيات التلفازية من يحرك المؤشر للتنقل بين الأقمار الصناعية أو المحطات ، الفرد فوفق ما أرسيت فيه من أسس وقيم سوف يكون توجه نحو الصالح أو الطالح وفق ما ننشئه عليه.

تناولنا التنشئة الاجتماعية وأهدافها وخصائصها وشروط نجاحها، ومن ثم علينا أن نتعرف على العوامل التي تساعدنا في تحقيق تنشئة اجتماعية سوية .. وهذا ما سوف نوضحه في الفصل التالي ....

أثر الوراثة في التنشئة الاجتماعية

من الموضوعات التي كانت ومازالت مثارا للجدل العلمي هو مدى تأثير الوراثة في عملية التنشئة الاجتماعية، البعض يرى أن التنشئة الاجتماعية عملية مكتسبة ومن ثم ليس للوراثة أي أثر فيها، والبعض الأخر يرى بأن الوراثة تلعب دورا في عملية التنشئة الاجتماعية.

يرى (معن العمر)" أن التنشئة تطبع الفرد بسماتها التي تريدها، وأن العوامل الجينية لا تستطيع التغلب عليها، إلا في الحالات الشاذة ،... ويؤكد بأن المحيط الأسري يطبع الفرد ببصمات ثابتة وأساسية علي صفحات سلوكياته الاجتماعية البيضاء، ولا يكون للعامل الوراثي والجيني سوى بعض التأثيرات على تصرفه اليومي"(١)، أي أنه يرى لا وجود أو تأثير للجينات الوراثة في عملية التنشئة الاجتماعية، إلا بقدر ضئيل لا يذكر ولا يمكن أن يتخذ قرينة علمية لكي نثبت أن للوراثة أثر في عملية التنشئة الاجتماعية.

وفي دراسة أجريت بكلية الطب بجامعة فرجينا قام بها(الدكتور/ كيندلير وآخرون) حول (أثر العوامل الوراثية في الشخصية)، " أدت دراستهم أن العوامل الوراثية المسئولة عن الأمراض النفسية تؤثر في الشخصية بنسبة ٣٩٪ بينما العوامل البيئية تؤثر بنسبة ٦١٪"(٢)، أي أن هناك نسبة ليست بالقليلة مسئولة عنها العوامل الوراثية ، فإن كانت الشخصية هي محصلة عملية التنشئة الاجتماعية، فإن العوامل الوراثية تؤثر في عملية التنشئة الاجتماعية.

" ولا تقتصر الوراثة على الأمور المتعلقة بالتكوين الجسمي مثل شكل الوجه والطول والقصر ولون البشرة، بل تشمل أمورا تتعلق بالناحية العقلية مثل الذكاء والبله وقوة العزيمة والإرادة ومقومات الشخصية، وقد تشمل الوراثة كذلك أمورا تتعلق بالفضائل أو النقائص الخلقية مثل الكرم والبخل والشجاعة والجبن"(٣)، بشكل عام تتفاعل العوامل البيولوجية والعوامل الثقافية مع بعضها البعض في التأثير على عملية التنشئة.

وخلاصة القول: أرى بأن العوامل الوراثية تؤثر في عملية التنشئة الاجتماعية، نفرض أن زوجين محدودي الذكاء ومصابون بأمراض نفسية، وأخذنا طفلهما ووضعناه لدى أسرة أخرى، تتمتع بمستوى ثقافي واجتماعي مرتفع، هل سوف تكون تنشئته الاجتماعية سوية كأبناء الأسرة التي استضافته؟ أعتقد أنه سوف يكون هناك اختلاف ناتج عن العوامل الوراثية، لكنه سوف يكون أفضل من أخوته الذين تمت تنشئتهم مع أسرته البيولوجية، وترجع نسبة الاختلاف في الحالة الأولي بينه وبين أبناء الأسرة المضيفة للعوامل الوراثية، وفي الحالة الثانية بينه وبين أخوته من أسرته البيولوجية إلي العوامل البيئية، ولكن نظرا لتغالي البعض في دور البيئة الاجتماعية في التنشئة الاجتماعية والذي لا ننكره، جعل " كثير من الباحثين يعتقدوا أن للعوامل البيئة القدرة على تعديل العوامل الوراثية"(٤)، ولكن سوف يظل للعوامل الوراثية أثرها في عملية التنشئة الاجتماعية.

أثر قابلية الفرد للتعلم في التنشئة الاجتماعية

يتوقف نجاح عملية التنشئة الاجتماعية على قدرة الفرد على التعلم واكتساب المهارات الاجتماعية المراد إكسابها له، ولكن هناك بعض الأفراد يكون لديهم عدم قابلية للتعلم وذلك لانخفاض مستوى الدافعية للتعلم لديهم، أو أن مستوى قابليتهم للتعلم أقل من غيرهم لأسباب عديدة منها:

١- سوء تغذية الأم الحامل.

٢- إصابة الأم الحامل ببعض الأمراض المعدية.

٣- الاضطرابات النفسية الحادة للأم أثناء الحمل.

٤- الأمراض التي يتعرض لها الطفل في السنوات الأولى كالحمى الشديدة.

٥- سوء التغذية.

٦- تسبب الحالة النفسية التي يتعرض لها الفرد في بيئته عملية إعاقة للتعلم.

فالفرد الذي ليس لديه دافعية للتعلم سوف يؤثر ذلك في تنشئته الاجتماعية، ولن تحدث تنشئة سوية إلا إذا قمنا بتنشيط قابليته للتعلم.

* العوامل المجتمعية التي تساعد على التنشئة السوية

تتعدد العوامل المجتمعية التي تساعد على عملية التنشئة الاجتماعية السوية، ومنها القيم عامة والقيم الاجتماعية خاصة، والعادات والتقاليد والعرف السائد في المجتمع،

أولا : القيم الاجتماعية

هي القيم التي تهتم بالناس والمجتمع، وتعني بسعادة الآخرين، ويعبر عنها " بمحبة الناس والتعاطف بينهم، والإنسان الاجتماعي يقدر الناس بوصفهم غايات، ويرى في الحب الصورة الوحيدة الملائمة للصلات المتعددة بين الناس"(٥)، والقيم الاجتماعية لا تتأثر بالشخص بل هي التي تؤثر فيه ولا تتوقف على ميول الشخص أو أهوائه بل على طبيعة الشيء موضع الاهتمام.(٦).

وتختلف القيم الاجتماعية من مجتمع إلي مجتمع، وتختلف داخل المجتمع الواحد من فئة اجتماعية إلي أخرى ، وتعد القيم الاجتماعية من محددات السلوك الاجتماعي السوي، ولكن ما يقاس به السلوك الاجتماعي في مجتمع ما على أنه سوي، يختلف عنه في مجتمع آخر، على سبيل المثال أن الفتاة الغربية عندما تبلغ عمر السادسة عشرة تخرج من بيت أسرتها وتعيش بمفردها وتمارس حياتها الشخصية بعيدا عن مراقبة الأسرة، وهذا يعد سلوكا اجتماعيا سويا لديهم، في حين أن مثل هذا يعد سلوكا اجتماعيا غير سوي في مجتمعاتنا العربية.

دور القيم الاجتماعية في التنشئة الاجتماعية

تشكل القيم الاجتماعية نوعا من الإجبار للفرد، ومن ثم لا يستطيع الخروج عنها، ومنها فيه تؤدي دورا مهما في عملية التنشئة الاجتماعية. ويحدد (رجب صديق هذا الدور في ما يأتي: - (٧)

١- أن القيم الاجتماعية تؤثر في جميع أساليب التنشئة الاجتماعية الأخرى، لأن القيم الاجتماعية تتأثر إلي حد كبير بالدين الذي يحدد الإطار القيمي الذي تلتزم به مؤسسات التنشئة الاجتماعية .

٢- القيم الاجتماعية تعمل على إيجاد نوع من الضبط الاقتصادي للأفراد في المجتمع ، حيث تحثهم على العمل كقيمة تحقق للفرد مكانته الاجتماعية في المجتمع.

ومن ثم فإن القيم الاجتماعية تسهم بصورة فعالة في عملية التنشئة الاجتماعية، وتحقق الضبط الاجتماعي الذي تسعى التنشئة الاجتماعية لممارسة على الفرد كي يتمثل قيم وسلوكيات ومجتمعه، ويمتثل لها في ذات الوقت.

ثانيا : العادات

يمكن تعريفها بأنها" الطرائق التي يتصرف بها عامة الشعب، بمعنى العادات التي تتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل، والمتعلقة بكيفية السلوك أو القيام بالأفعال"(٨)

فالعادات نمط سلوكي ارتضاه الفرد والمجتمع ، وأصبح يمثل ظاهرة من ظواهر الحياة الاجتماعية.

كما يعرفها (الخشاب) بأنها" عبارة عن مجموعة من الأفعال والأعمال وألوان من السلوك تنشأ في قلب الجماعة بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر السلوك وأوضاعها ، وهي تمثل ضرورة اجتماعية وتستمد قوتها من هذه الضرورة ، ولذلك لا يملك الأفراد الخروج على مقتضياتها والتزاماتها"(٩)

ويحدد (الجوهري) خصائص العادات فيما يأتي : (١٠)

١- العادة الاجتماعية فعل اجتماعي فليست هناك عادة اجتماعية خاصة بفرد واحد فقط ، إنما العادة تظهر إلي الوجود حيث يرتبط الفرد بآخرين.

٢- العادة تكون متوارثة أو مرتكزة إلي تراث يدعمها ويغذيها ، فالسلوك يتحول إلي عادة عندما يثبت من خلال عدة أجيال ويتوسع وينمو ، ومن ثم يكتسب سلطانا.

٣- ترتبط العادة بزمان ومكان معينين ، وهذا الارتباط هو الدليل على القيمة الوظيفية الغالية التي تتمتع بها العادات في المجتمع.

٤- العادة قوة معيارية وظاهرة تتطلب الامتثال الاجتماعي ، بل الطاعة الصارمة .

دور العادات في عملية التنشئة الاجتماعية

يتضح مما سبق أن العادات المتوارثة لها صفة الجبر والعموم، ومن ثم فإن الالتزام بها وعدم الخروج عليها ضرورة لتكييف الفرد مع المجتمع، أي لا يصبح الفرد مقبولا من المجتمع أن لم يلتزم بهذه العادات الاجتماعية.

ولكن مما يشكل نقدا لبعض العادات في عملية التنشئة الاجتماعية، أن هناك بعض العادات التي توارثتها المجتمعات وتتمسك بها نظرا لسلطانها القوي على أفراد المجتمع، وهي في الحقيقة تشكل عبئا اقتصاديا أو تمثل معوقا للتنمية الاجتماعية ، ومنها الولائم في الأعراس والمآتم وغيرها من المناسبات التي تشكل عبئا اقتصاديا على الفرد ومع ذلك عليها أن يلتزم بها ، ، وغير ذلك من العادات التي تعرقل مسيرة الحياة الاجتماعية وزيادة التفاعل الاجتماعي بين الجماعات ، ومن ثم فإن العادات المتوارثة ينبغي غربلتها وانتقاء الصالح منها وما يساير العصر ومتطلباته ويسهم في التنمية الاجتماعية للمجتمع.

ثالثا: التقاليد

تعرف التقاليد بأنها" عبارة عن طائفة من قواعد السلوك الخاصة بطبقة معينة أو طائفة أو بيئة محلية محدودة النطاق، وهي تنشأ من الرضى والاتفاق الجمعي على إجراءات وأوضاع معينة خاصة بالمجتمع المحدد الذي تنشأ فيه"(١١)، فالتقاليد الخاصة بالمناسبات الاجتماعية، والاحتفالات والحفلات والزيارات وغيرها من أشكال التفاعل الاجتماعي، تختلف من

منطقة إلي أخرى ومن فئة إلي أخرى داخل المجتمع الواحد، ولهذه التقاليد أهميتها في ضبط السلوك والعلاقات بين أفراد الجماعة.

* دور التقاليد في التنشئة الاجتماعية

تقوم التقاليد بدورها في عملية التنشئة الاجتماعية، فهي من محددات الضبط الاجتماعي، ومن ثم فأن التزام الفرد بها يجعله مقبولا اجتماعيا من فئته،وأن خالفها فإنه يصبح منبوذا منها، ففئة الأطباء لهم تقاليدهم المهنية ومنها عدم الإفشاء بسر المريض، والطبيب الذي يخالف هذا التقليد قد يصل الأمر إلي طرده من المهنة.

ومن التقاليد أيضا كما هو الحال في العادات، ما يجب إعادة النظر فيه، ففي الزواج " لا يخضع الزواج لحرية الفرد المطلقة في اختيار شريك حياته، بل يظهر تدخل المجتمع في اختيار الزوج أو الزوجة بصور متعددة، يصر المجتمع على أن زواج أفراد الجماعة يجب أن يتم من داخل جماعة محددة"(١٢) ومثل هذه التقاليد نجدها لدي بعض" القبائل العربية المستقرة في مصر عدم تزويج بناتها من أبناء الفلاحين لعدم توافر شرط الكفاءة في (نظرهم) والعائلة التي تخالف هذا التقليد ترمى بالتحقير وتتخذ ضدها إجراءات خطيرة"(١٣).

ومما سبق يتضح لنا سلطان الموروثات الثقافية من عادات وتقاليد، وكذلك العرف - كما سوف نوضح فيما بعد- على الأفراد، ولكن يجب أن نتنبه إلي بعض الأمور التي يجب مراعاتها والتي تسبب أزمة تربوية عربية، للاختلاف بين ما ندرسه وندرسه من نظريات ونماذج تربوية مستوردة وبين الواقع الفعلي لثقافتنا، وهذا أمر جد خطير، على الحالة النفسية لمن نربيهم وننشئهم"وأن إعادة النظر في مواريثنا الثقافية، ومصارحة أنفسنا بمعضلاتها، قضية تهيب معالجتها حتى الآن كثير من المربين العرب المعاصرين، الأمر الذي جعل فكرنا

التربوي المعاصر وممارستنا التربوية استعارة حضارية أو بناء فوقيا غير واع ما تحته من الجذور الضاربة في العمق النفسي للأمة، وقد تسبب هذا التضارب بين الاستعارة والأصل بتدهور التربية العربية المعاصرة"(١٤)، ومن ثم يجب أن نقف مع أنفسنا وقفة تأملية للواقع التربوي العربي، ونراجع ما هو موروث، مع عدم المساس بالثوابت الدينية، ونلتقي عند نقطة التقاء بين ثقافتنا وبين الواقع المعاصر.

رابعا: العرف

يعرف العرف " بأنه المعايير الاجتماعية التي توفر المستويات الأخلاقية للسلوك في الجماعة والمجتمع، ويشعر أعضاء الجماعة بارتباط عاطفي بأعرافها ويرون أن الحفاظ عليها ضروري لرفاهية الجماعة"(١٥) وأيضا فأن العرف "يتمثل في الحكم والأمثال والأغاني الشعبية والقصص الأدبية التي

تعتبر مظهرا من مظاهر التراث الثقافي والتي تصور لنا التاريخ الأدبي واللغوي وتلقي الضوء على التاريخ القومي"(١٦).

* دور العرف في التنشئة الاجتماعية

بما للعرف من صفة الجبر والإلزام التي تعرض الخارج عنه إلي النبذ والطرد، فأنه يكون من العوامل التي تسهم بشكل إيجابي في عملية التنشئة الاجتماعية، ويحدد هذا الدور في ما يأتي :

١- أن العرف يشكل عاملا فعالا في التنشئة الاجتماعية، ولا غنى عنه في المجتمعات الريفية والصحراوية والأقل تحضرا بوجه عام، والتي تتميز بصغر حجمها وقوة النظام العائلي فيها واعتمادها على الزراعة(١٧).

٢- للموروثات الشعبية التي يتضمنها العرف سلطانا على الأفراد، "فهي تمد الأفراد بالسلوك والقيم الملائمة للمجتمع، وهي الوسيلة التي تحقق التواصل بين أجيال المجتمع، مما ينمي الشعور بالولاء والانتماء لدى الفرد نحو مجتمعه" (١٨)، ومن تسهم بفعالية في إحداث تنشئة اجتماعية سوية .

الخلاصة

أن كثير من العوامل الوراثية والعوامل المجتمعية تؤثر في التنشئة الاجتماعية للفرد، ولذلك نجد اختلاف بين فرد وأخر في داخل المجتمع الواحد في السلوك الاجتماعي، تبعا لتغير المؤثرات التي يتعرض لها أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، واختلاف المكانة الاجتماعية للأسرة، والدور الاجتماعي و مدى تعرضه لتأثير المؤسسات التربوية في المجتمع، ولا جدال أن أبن البادية يختلف عن أبن الحضر في الكثير من أنواع السلوك الاجتماعي، مما يؤكد اختلاف التأثير من بيئة اجتماعية إلي أخرى.

ويتضح دور المؤسسات التربوية عامة ، ودور الأسرة من بينها خاصة في عملية التنشئة الاجتماعية، وهذا ما سوف نعرض له في الفصل التالي ، مع توضيح دور وأهمية كل مؤسسة من مؤسسات المجتمع التربوية في عملية التنشئة الاجتماعية.

مدخل

أن التنشئة الاجتماعية كما سبق وأن أوضحنا عملية إنسانية واجتماعية حيث يكتسب الفرد من خلالها طبيعته الإنسانية، ويتم هذا الاكتساب من خلال المعايشة عندما يشارك الآخرين ويتأثر بهم. وهناك كثير من المؤسسات التي تلعب دورا رئيسا في عملية التنشئة الاجتماعية نيابة عن المجتمع ،ومنها الأسرة، والمدرسة والمسجد وجماعة الرفاق والأندية الرياضية، والمنتديات الثقافية، ووسائل الإعلام والوسائط الثقافية المسموعة والمكتوبة والمرئية، وتتداخل كلها في تشكيل الفرد وتوجيهه، وعلى الرغم من اختلاف تلك المؤسسات في أدوارها إلا أنها تشترك جميعاً في تشكيل القيم والمعتقدات والسلوك، وأن هذه المؤسسات لا يقتصر دورها على المراحل المبكرة من عمر الفرد ولكنها تستمر في ممارسة تأثيرها في الفرد ويتزايد دورها في فترات التغيرات التي يتعرض لها المجتمع، سواء أكانت تغيرات اقتصادية أم تغيرات ثقافية اجتماعية وغيرها .

هذه المؤسسات وغيرها من مؤسسات المجتمع، التي تشارك في عملية التنشئة الاجتماعية، ينبغي أن تعمل في ضوء خطة واضحة المعالم، وأن تتكامل في أدورها، لا تتنافر، لأن المشكلة التي تواجهنا تتمثل في أن كل مؤسسة تسير في اتجاه يختلف عن المؤسسة الأخرى، مما يؤثر سلبا علي عملية التنشئة الاجتماعية السوية،وسوف نتناول بعض هذه المؤسسات بالدراسة والتحليل لدور كل منها .

أولا :الأســـرة

رغم تعدد المؤسسات التربوية التي تقوم بعلمية التنشئة الاجتماعية، ورغم كل ما أصاب دور الأسرة في هذا العصر، إلا أنها ستظل الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل ويتفاعل مع أعضائها، وبالتالي فهي تؤثر في نمو الفرد في مراحله الأولى أكثر من أي جماعة أخرى، و تعد المسئولة عن بناء الشخصية الاجتماعية والثقافية، ويظل تأثيرها واضح في شخصية الفرد.

" ولقد أجمعت تجارب الناس والأبحاث التي أجراها العلماء على ما للتنشئة الاجتماعية في الأسرة من أثر عميق خطير، يقل دونه أثر أي مؤسسة اجتماعية أخرى في تشكيل شخصية الطفل وتنشئته الاجتماعية وبخاصة خلال مرحلة الحضانة، وذلك لأن الطفل في هذه المرحلة لا يكون خاضعاً لسلطان مجموعة أخرى غير أسرته، ولأنه يكون سهل التأثر سهل التشكيل، شديد القابلية للإيحاء والتعلم، قليل الخبرة، عاجزاً ضعيف الإرادة، قليل الحيلة، وفي حاجة دائمة إلى من يعوله، ويرعى نموه وحاجاته العضوية والنفسية المختلفة"(١) فالأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى المسئولة عن التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي، إذ تقوم بدور رئيس في تشكيل السلوك لأفرادها، من خلال نوع التنشئة الأسرية التي تقدمها لهم، فأنماط السلوك وطبيعة التفاعلات بين الأدوار الأسرية داخل الأسرة هي المثال الذي يؤثر سلبا أو إيجابا في إعداد الأفراد.

وتعد الأسرة المؤسسة الأساسية في تكوين الثقافة لدى الطفل، حيث تعتمد ثقافته على مدى ثقافة هذه الأسرة وخاصة ثقافة الأم فيها، "وفي الأسرة يكتسب الطفل أولى خبراته الصوتية، و ويبدأ في إدراك علاقة جسمية بين ما يسمعه من أصوات مختلفة وبين بعض الظروف والمواقف في البيئة التي يعيش فيها "(٢)، ومن هنا يبدأ الطفل يكتسب اللغة بصورة وظيفية، ومن ثم يكتسب الثقافة لأن" الثقافة نتاج اللغة، والإنسان هو الكائن الحي الوحيد القادر على الاتصال عن طريق رموز يستطيع بها الحفاظ على تراثه، وعن طريق هذه اللغة يصبح الإنسان قادرا على البناء مع الماضي"(٣).

أهمية الأسرة في التنشئة الاجتماعية

وتنبع أهمية الأسرة من حيث إنها أكثر الجماعات تأثيرا في الفرد، فالطفل يولد كائن يحتاج إلى رعاية نفسية وجسمية تساعده على النمو وتضمن له البقاء، لذلك يحتاج الطفل إلى رعاية تستغرق سنوات طويلة حتى يصل إلى مرحلة يستطيع أن يعتمد فيها على نفسه ويأتي كل رضيع إلى العالم مزودا بمجموعة من القدرات التي سوف تساعده على تحقيق النمو ، ويتوقف على الأسرة مدى نمو هذه القدرات.

وظائف الأسرة

تتعدد وظائف الأسرة ولا يمكن حصرها في جانب واحد ومن وظائفها

١. الوظيفة الثقافية

سبق وأن أوضحنا مدي تأثير الأسرة في الجانب الثقافي من التنشئة الاجتماعية، وذلك نظرا لأهمية هذا الجانب في تشكيل السلوك وعملية التطبيع الاجتماعي للفرد، ودون مبالغة فإن الفرد هو نتاج ثقافة أسرته وبيئته ." فمن خلال الخبرات الثقافية التي يمر بها الطفل أثناء العمليات التربوية تتم عملية التنشئة الاجتماعية "(٤)، يؤكد ذلك ما ذهبنا إليه بأن الفرد نتاج ثقافة البيئة المحيطة به.

ويرى (محمد الهادي عفيفي) أ، أهم وظائف الأسرة في المجال الثقافي ما يأتي- (٥)

١- أنها أداة لنقل الثقافة والإطار الثقافي إلي الطفل، فعن طريقها يعرف الطفل ثقافة عصره وبيئته، ويتعرف على الأنماط العامة السائدة في ثقافته كأنواع الاتصال والإشارات، ووسائل وأساليب الانتقال وتبادل السلع والخدمات، ونوع الملكية ومعناها، والأنماط الأسرية من زواج وطلاق وقوانين وقيم اجتماعية.

٢- أنها تختار من البيئة القافية ما تراه مهما ومناسبا، وتقوم بتفسيره وتقويمه وإصدار الأحكام عليه مما يؤثر على اتجاهات الطفل لعدد كبير من السنين، أي أنت الطفل ينظر إلي الموروث الثقافي من وجهة نظر أسرته وطبقته الاجتماعية التي ينتمي إليها.

٢. الوظيفة البيولوجية

النظام الأسري نظام اجتماعي، وضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري ودوام الوجود الاجتماعي، ولقد أودع الله (عزّ وجل) في الإنسان هذه الضرورة بصفة فطرية، ويتحقق ذلك بفضل اجتماع الرجل والمرأة، قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها..) "سورة الروم ـ٢١".

ومن ثمرات هذا الإتحاد أو الزواج خروج الأبناء.

"فالأسرة مسئولة عن حفظ النوع الإنساني، ويتصل بهذه المسئولية أنجاب الأطفال، ثم رعايتهم جسميا وصحيا، فضلا عن ذلك فإن الأسرة مسئولة عن نمو الأطفال بيولوجيا، فهي تعلمه المشي وتدرب أعضاء جسمه التدريب الصحيح في الموعد المناسب وبالطريقة المناسبة".(٦)، والأسرة هي المسئولة عن مساعدة الطفل وإشباع حاجاته البيولوجية حيث إنه يكون عاجزا عن تلبيتها بنفسه.

٣. الوظيفة النفسية

الشعور بالأمان النفسي ، وتوفير الطمأنينة للطفل من الوظائف المنوطة بها الأسرة، وبدون تحقيقها يتعرض الطفل لمشاعر القلق والخوف مما يؤثر في شخصيته وعلاقاته مع الآخرين، و تعد الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تستقبل الطفل منذ لحظة الميلاد، ولذلك عليها مسئولية تربية الطفل في سنوات عمره الأولى، حيث لا تستطيع أيه مؤسسة تربوية أخرى أن تكون بديلاً طبيعياً للأسرة في هذا المجال، فالأسرة في هذه المرحلة العمرية هي التي تستطيع أن تحيط الطفل بالجو المناسب من الحنان، وتحقق له الأمن النفسي .

٤. الوظيفة الاجتماعية

ويبدأ الطفل حياته بنوع من العلاقات البيولوجية الحيوية التي تربطه بأمه، وتقوم هذه العلاقة على أساس إشباع حاجات الطفل العضوية، ثم تتطور هذه العلاقة إلى علاقات نفسية قوية، ثم يبدأ الطفل في تكوين علاقات أخرى مع أفراد آخرين غير الأم، كالأب، والإخوة، والأخوات. لذلك فالأسرة تمثل الجماعة الأولى للفرد، فهي أول جماعة يعيش فيها الطفل، ويشعر بالانتماء إليها، وبذلك يكتسب أول عضوية له في جماعة، فيتعلم فيها كيف يتعامل مع الآخرين في سعيه لإشباع حاجاته، وتحقيق مصالحه من خلال تفاعله مع أعضائها.

وفيها يتعلم الأدوار الاجتماعية فالأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تستقبل الطفل منذ لحظة الميلاد، ولذلك عليها مسئولية تربية الطفل في سنوات عمره الأولى، حيث لا تستطيع أيه مؤسسة تربوية أخرى أن تكون بديلاً طبيعياً للأسرة في هذا المجال، فالأسرة في هذه المرحلة العمرية هي التي تستطيع أن تحيط الطفل بالجو المناسب من الحنان والإخلاص. كما تنقل إليه روح العائلة وتمده بعاداتها وخبراتها وتحميه.

٥. الوظيفة التوجيهية

تتمثل هذه الوظيفة في أن الفرد بعد سنوات عمره الأولى يبدأ في التردد على مؤسسات وتنظيمات اجتماعية كثيرة، يكتسب منها خبرات متنوعة قد تتفق أو تتعارض مع المرغوب فيه من المجتمع، ومن ثم يصبح علي الأسرة

توجيه الطفل بما يعمل على إزالة التناقضات التي أكتسبها نتيجة ترددة على هذه المؤسسات الاجتماعية المختلفة.

كما تنمى الأسرة في الطفل بعض القيم مثل الاستقامة، الكرم، التدين، وأيضا تمده بالخبرات الاجتماعية مثل آداب تناول الطعام، وآداب الحديث، وهى من أنماط السلوك التي يبدأ الطفل تعلمها داخل الأسرة.

العوامل التي تحد من دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية

للأسرة تأثير في حياة الطفل خاصة في السنين الأولى من عمرة فهي تمثل عالم الطفل ومن ثم تؤثر في شخصيته ونموه. ويبدأ هذا التأثير بالاتصال المادي والمعنوي المباشر بين الأم وطفلها. كما أن دور الأب والأخوة له تأثير كبير على تنشئته وتطوير شخصيته الاجتماعية، أن شخصية الوالدين وموقع الطفل بالنسبة لأخوته ومركز العائلة الثقافي والاقتصادي من العوامل المؤثرة في عملية التنشئة الاجتماعية ، فإن الوضع الاقتصادي المتدني للأسرة يؤثر سلباً في إشباع حاجات الطفل، كما أن الطلاق وسلبية العلاقة بين الزوجين أو بين الأبناء وعدم المساواة بين الذكور والإناث له اثر في توجيه السلوك وإحداث تنشئة اجتماعية غير سوية.

١. المتغيرات التي لحقت بالأسرة

لحق بالأسرة العربية كثير من التغيرات ، فاختفت الأسرة الكبيرة التي تضم الجد والجدة والأبناء والأحفاد ، وحل محلها الأسرة النووية التي تضم الأب والأم والأبناء غير المتزوجين ، كما أثرت التغيرات الاقتصادية على

العلاقات الأسرية في المنطقة العربية ، " وتشهد هذه العلاقات تغييراً سريعاً في وقتنا الحاضر . وإن مظاهر التنمية الاقتصادية ، وتسارع الهجرة من الريف إلى المدينة ، وتعاظم دور وسائل الاقتصاد الحديثة ، أدى إلى تغير أساسي في البنية الاجتماعية والاقتصادية التي ارتكزت عليها الأسرة العربية منذ قرون طويلة ، ولابد وأن تنعكس هذه التغيرات على تنشئة الطفل وعلاقته بالأسرة وعلى طريقة التعامل معه"(٧).

٢. ثقافة الأم التربوية :

تعتبر تنشئة الأطفال مسئولية مشتركة بين الأم والأب ، ولكن الأم تضطلع بالنصيب الأوفر من هذه المسئولية ، والتي تبدأ قبل ميلاد الطفل ، بل تتجاوز ذلك إلى ما قبل الزواج ، فإن الحالة الصحية والنفسية للأم والتي تتشكل قبل الزواج لها أثرها على تربية الطفل ، وكذلك مستوى ثقافة الأم المتصل بجانب الأمومة وتربية الأطفال يتصل بشكل مباشر بتربية الطفل ، ثم مرحلة الجنين وهي من المراحل المهمة في حياة الطفل ، وقد ثبت بأن الجنين يفهم ويتعلم وهو في بطن أمه ، "يؤكد أحد علماء النفس الإنجليز أنه اكتشف في مستشفى للولادة أن الجنين يصاب بالذعر إذا استمعت الأم إلى موسيقى يكرهها " موسيقى الروك " تجعله يرفض احتجاجاً ..أما الموسيقى الكلاسيكية فتجعله كرائد فضاء يسبح طافياً بسلاسة في أرجاء البطن كأنما يسعى لمزيد من الالتقاط" (٨)، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة ما بعد الولادة،وتصبح الأم مسئولة من اللحظة الأولى لميلاد الطفل عن إشباع حاجاته إلى الغذاء والنظافة والحنان ، وتوفير الأمان لهذا الوليد " وتعد علاقة الطفل

بأمه أبعد العلاقات أثراً في تكوين الشخصية إذ تبدأ حياة الطفل بعلاقات بيولوجية تربطه بأمه، تقوم في جوهرها على إشباع الحاجات العضوية كالطعام والنوم والدفء ، ثم تتطور هذه العلاقات إلى علاقات نفسية قوية وتوفر له الحب والحنان " (٩) ، ورغم ذلك فإن المؤسسات التربوية كافة في الوطن العربي لم تهتم بتقديم الثقافة النسوية للفتاة العربية ، وأصبحت الأمهات خاليات تماما من فنون الأمومة وبخاصة بعد أن خرجت المرأة العربية لمجال العمل وأوكلت تنشئة أطفالها للجدات ، والمربيات ، ودور الحضانة ، بالإضافة إلى انتشار الأمية بين الأمهات في مناطق كثيرة من الوطن العربي ، مما يعوق معرفتهم لأبسط قواعد تنشئة الأطفال والمحافظة على سلامتهم .

ونتيجة لقصور ثقافة الأم في مجال رعاية الأطفال نجد الكثير من الآثار السلبية على الأطفال ، صحياً ، فالأم لا تدري قواعد الصحة وتغذية الأطفال مما يتسبب في انتشار أمراض سوء التغذية وتشير دراسة أجريت في البحرين "أن الأطفال من سن ٦ : ٢٤ شهراً الذين كانوا ضحايا نقص التغذية الشديد بلغت نسبتهم ١٠ ٪ أما الهزال فأكثر ما يكون انتشاراً خلال السنة الثالثة من العمر إذ يصل إلي٢٣٪"(١٠) وكذلك انتشار أمراض الإسهال والدفتيريا والحصبة بين الأطفال، وذلك لأن الأم نظراً لقصور ثقافتها تلجأ إلى الطرائق البدائية في التعامل مع هذه الأمراض ناهيك عن ما يتعرض له الطفل من سوء صحته النفسية كنتيجة للممارسات التربوية الخاطئة .

٣. قصور الثقافة التربوية للأسرة العربية :

تنتهج بعض الأسر العربية بعض الممارسات في تربية أطفالهم ، وهم يعتقدون أن هذه الأساليب سوف تساعد في تربية الأطفال، ولكن هذه الأساليب غير التربوية يكون لها أسوأ الأثر على الطفل وأن أتباع مثل هذه الأساليب إن دل على شيء ، إنما يدل على قصور في الثقافة التربوية للأسرة العربية ، من الأساليب الخاطئة، ما سوف نتناول بعضه في الصفحات القادمة، ومنها :

أ. التدليل والحماية الزائدة :

تلجأ الأسر إلى الإسراف في تدليل أطفالها ، والخوف عليهم ، بقصد حمايتهم إلى أن يصل الأمر إلى تقييد حرية الأطفال ، ومنعهم من ممارسة حياتهم العادية ، " وإنه حينما يعمد الوالدان إلى إظهار الكثير من مظاهر الجزع والقلق واللهفة حول صحة الطفل وحياته ومستقبله ، فإن هذا المسلك نفسه قد يتسبب في توليد عقدة الخوف والقلق وعدم الطمأنينة في نفس الطفل " (١١)، أي أن الأسرة تخفق في تأدية أهم وظائفها تجاه الطفل ، وهي إشعاره بالطمأنينة والأمان وترسب في نفسه عقدة الخوف أي أنها تجعل منه شخصية غير سوية .

ب. الإهمال والقسوة الزائدة :

على النقيض نرى بعض الأسر تسرف في القسوة والشدة مع أطفالها اعتقاداً منها بأن ذلك سوف يسهم في تربيتهم وتوجيههم إلى الطريق الصواب، ودائماً

يصاحب *القسوة في تنشئة الأبناء ، إهمال متطلبات وحاجات الأطفال* ، ويظن الأهل أن الحرمان وسيلة تربوية كما أن هناك بعض الأسر التي تهمل توجيه أطفالها تماماً ، اعتقاداً منها بأن الطفل في مرحلة الخمس سنوات الأولى لا يحتاج إلى توجيه ويعتبرونها مرحلة لا تأثير لها على الطفل لأنه مازالصغيراً، ولا يدرك .

ج. التفرقة في المعاملة :

يلاحظ في بعض المناطق العربية التفرقة في المعاملة ، ما بين الأبناء كتفضيل الأكبر على الأصغر ، أو الذكر على الأنثى ، " وإن اختلاف معاملة كل من الوالدين للطفل من حنو زائد على أحدهما إلى قسوة صارمة على الآخر أو بتفضيل الذكر على الأنثى ، مما لا شك فيه أن هذا الاختلاف في المعاملة يجعل الأطفال يشعرون بعدم الإحساس بالأمن ويتولد لديهم الإحساس بالقلق النفسي، والاكتئاب، وأخيراً في بعض الأحيان يؤدي إلى الانحراف بالسلوك"(١٢).

فإن أساليب التنشئة الخاطئة التي يتبعها الأب والأم في تربية الأطفال يكون لها أسوأ الأثر على سلامة الأطفال النفسية مما يؤثر في شخصيتهم ، " ولقد أظهرت التجارب أن سلوك الآباء والأمهات نحو أبنائهم - خصوصاً في السنوات الخمس الأولى من حياة أطفالهم - قد يكون السبب المباشر أو غير المباشر في اضطراب شخصية الطفل أو إصابته ببعض العقد النفسية " (١٣) .

٤ المربيات الأجنبيات :

من الظواهر التي شغلت بال رجال التربية في الفترة الأخيرة هي مشكلة ازدياد عدد المربيات الأجنبيات في دول الخليج العربي ، خاصة وأنهن يحملن ثقافة وعادات وتقاليد وعقائد تختلف عن محتوى الثقافة العربية ، ويؤثر ذلك على الأطفال الذين يعهد إليهن بتربيتهم ومن الآثار والمشكلات الناجمة عن استخدام المربيات الأجنبيات على التنشئة الاجتماعية للطفل العربي .

*** المشكلة الأولى "الأساليب التربوية الخاطئة" :**

المربيات الأجنبيات يستخدمن أساليب تربوية خاطئة مع الأطفال ، وذلك لأنهن غير تربويات ، بل إن معظمهن لم يحصلن على أي قدر من التعليم ، أشارت نتائج أحد البحوث الميدانية إلى أن العلاقة الحميمة بين المربيات والأطفال ترجع إلى وجود بعض الأساليب التربوية الخاطئة لدى المربية مثل التساهل والتراخي، والحنان المفرط، والتكتم على تصرفات الأطفال (١٤).

*** المشكلة الثانية (الآثار النفسية السيئة) :**

إن علاقة الطفل بالمربية وقيامها بكل ما يلزم الطفل ، يجعل الأم غير مألوفة للطفل وتكون المربية أكثر ألفة بالنسبة له ، مما " ينمي لديه اتجاهات وأنماط سلبية نحو الأمومة ،وقد يؤدي إلى فقدان في توازنه النفسي ،فيشعر باغتراب"(١٥).

*** المشكلة الثالثة (تأثر اللغة والثقافة)**

المشكلة الثالثة أو الخطورة الثالثة ، تتصل بالمكونات الثقافية ورمز من رموز القومية العربية ، ألا وهي اللغة العربية فإن " الثقافة هي نتاج اللغة ، والإنسان هو الكائن الوحيد القادر على الاتصال عن طريق رموز يستطيع بها الحفاظ على تراثه وتوصيله إلى الأشياء الجديدة ، وعن طريق هذه اللغة يصبح الإنسان قادراً على البناء مع الماضي " (١٦) أي أن صلة الإنسان بتراثه تتم عبر اللغة ، وكان العرب قديماً يرسلون أطفالهم إلى البادية وذلك بهدف تقويم لغتهم ، حتى يشبوا على نطق اللغة الصحيحة أما اليوم يتركوا لمربيات أجنبيات لهن لغتهن الغريبة مما يؤثر على لغة الطفل ، في دراسة خليجية تأكد أن "٢٥ ٪ من أطفال العينة في المرحلة الأولى يقلدون المربيات في اللهجة ، وأن أكثر من ٤٠ ٪ منهم تشوب لغتهم لكنة أجنبية " (١٧) .

وسوف تتأثر ثقافة الطفل تبعاً لتأثير لغته بثقافة المربية الأجنبية ،وسوف يعوق ذلك التنشئة الاجتماعية للطفل والتي تستهدف نقل تراث المجتمع إلى الطفل.

*** المشكلة الرابعة (تأثير العقيدة والقيم)**

حيث إن العربية تكون أقرب للطفل في مرحلة السنوات الخمس الأولى من حياته فإنها سوف تصبح أهم مصدر من مصادر معرفته ، بل ويصبح لها التأثير الأكبر على قيمه وعقيدته ، وإذا كانت نتائج الدراسة الميدانية التي أجريت في دول الخليج أوضحت " أن المعتقدات الدينية للمربيات الأجنبيات يمكن ترتيبها على الوجه التالي : المسيحية ، والبوذية ، والهندوسية ، وأخيراً الإسلامية ، مما يترتب عليه آثار سلبية للجانب الديني من التنشئة الاجتماعية للأطفال"(١٨)، كما أشارت نتائج الدراسات الميدانية القطرية إلى " أن المجتمعات التي ينتمي إليها ٨٥,٦٪ من المربيات تحبذ ممارسة الحب والعلاقات العاطفية والجنس قبل الزواج"(١٩)،وإنه لا يمكن بحال من الأحوال ينتظر من هذه المربية أن تنشئ طفلاً متمسكاً بأداء الشعائر الدينية أو ملتزماً بالقيم الإسلامية .

وأيضا غياب الأم عن الطفل وتركه مع المربية يحدث آثاراً ضارة في شخصيته، وأهم أثر هو اكتئاب الطفل ابتعاده عن الناس ، وعدم قدرته على تكوين علاقات اجتماعية لعدم ثقته في الناس أو في نفسه ، وأيضا شعوره بالقلق وعدم استطاعته التحكم في دوافعه وضبطها .

٥. نوعية العلاقة بين الأب والأم

إن طبيعة العلاقة بين الوالدين لها انعكاسات كبيرة على تنشئة الأبناء، فإذا كانت تلك العلاقة حسنة وطيبة ودافئة وهادئة ومتزنة ومستقرة فإنها ستؤدي إلى تنشئة أبناء صالحين لأنفسهم ولمجتمعهم، في حين أن اضطراب العلاقة بين الوالدين يؤدي إلى تفكك وانحلال الأسرة، وفي حالة الطلاق التي أوضحت الكثير من الدراسات الاجتماعية ارتفاع نسبتها في الوطن العربي، ويؤكد(معن العمر) بأن تأثير الطلاق علي الأبناء " يعد صدمة قوية للأبناء وبالذات في السنة الأولى من الطلاق إذ يكون وقوعه عليهم مؤلما من الناحية النفسية والأسرية بحيث تقل الرعاية الأبوية لهم وتتدهور صحتهم وتهبط معنوياتهم، كما أن اعتبارهم الذاتي يكون واطئا عندما يقارن مع اعتبار الأبناء من غير المطلقين الذاتي، وبالذات عند الجماعات الدينية والعرقية التي تحرم الطلاق"(٢٠).

٦. حجم الأسرة

يرى غالبية علماء الاجتماع والتربية، أن الحجم المناسب للأسرة هو الحجم الذي يتلاءم مع إمكانات الأسرة وشروط البيئة، ويمكّن الوالدين من توفير الرعاية الحقيقية للطفل، وأرى أنه لا خلاف لي مع هذا الرأي، ولكن أن كان من بين مقاصده ما يسمى بتنظيم النسل ، لابد أن نذكر قول أبي سعيد الخدري يقول: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزل؟ فقال: " ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء"(٢١)، والأحاديث النبوية الشريفة الواردة في موضوع العزل عديدة، أريد

هنا أن أنبه إلي أن ثقة المؤمن بالله تجعله يعلم بأن إرادة الله غالبة قال تعالى " والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون"(من آية ٢١- سورة يوسف)، وقد ترك الرأي السابق الأمر متروك للأسرة لتحديد الحجم المناسب لإمكاناتها.

وإن كانت الأسرة ليست هي المؤسسة الاجتماعية الوحيدة المسئولة عن التنشئة الاجتماعية حيث هناك العديد من المؤسسات الاجتماعية الأخرى التي تشارك في هذه العملية إلا أنها تظل الأكثر أهمية وتأثيراً خاصة في سنوات الطفولة، وسوف يظل للأسرة رغم كل ما يعتريها من تغيرات قد أثرت بصورة سلبية على عملية التنشئة الاجتماعية المكانة التي لا تضاهيها مكانة بين المؤسسات التربوية الأخرى، بل قد تزايد دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية واكتسب أهمية مضاعفة نتيجة عمليات التغير الاجتماعي السريعة التي يتعرض لها الوطن العربي، ثم ما تطرحه العولمة على الأمة العربية من تحديات.

ثانيا: المؤسسات التعليمية

المؤسسات التعليمية كدور الحضانة ورياض الأطفال والمدرسة والمعاهد والجامعات، أوكل إليها المجتمع القيام بعملية التنشئة الاجتماعية ، ومن الخطأ الشائع أن البعض يتحدث عن هذه المؤسسات وكأنها مسئولة عن التنشئة العقلية فحسب، بل يقصرها البعض الأخر على غرس المعلومات والمهارات المعرفية ، "وقد يعتقد البعض أن التربية هي التنشئة الاجتماعية وحسب ، ولكن التربية عملية أكبر وأشمل من ذلك بكثير، فهي تتضمن أنواع مختلفة من التنشئة بجانب التنشئة

الاجتماعية فهناك التنشئة السياسية والدينية أو العقائدية والاقتصادية والإدارية والقانونية إلى غير ذلك من أنواع التنشئة ، كما أن التربية تهتم بجميع جوانب الشخصية الإنسانية سواء الجانب العقلي أو الجسمي أو الجمالي أو الأخلاقي أو الانفعالي إلى غير ذلك من جوانب شخصية الفرد ، وذلك في إطار متكامل ومتوازن"(٢٢)، ولكن هذه المؤسسات لها دورها في التربية عامة، بل ولها أثرها الذي يجب ألا ينكر في عملية التنشئة الاجتماعية وإكمال دور الأسرة في غرس القيم وتعلم الأدوار الاجتماعية وتشرب ثقافة المجتمع وتعديل الاتجاهات وغير ذلك.

"والمدرسة هي الهيئة الرسمية التي يتم إنشاؤها تحت إشراف المجتمع، وتقوم المدرسة بتنشئة الأفراد وتعليمهم المهارات المتخصصة وأنواع المعرفة المتنوعة، إذ تمارس المدرسة في المجتمع الحديث دورا هاما في القيام بعملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها البيئة المتخصصة التي أوكل إليها المجتمع العملية التربوية"(٢٣)، وتعد المدرسة المؤسسة التعليمية ذات الأهمية في المجتمع بعد الأسرة فالطفل يخرج من مجتمع الأسرة المتجانس إلى المجتمع الكبير الأقل تجانساً وهو المدرسة، هذا الاتساع في المجال الاجتماعي وتباين الشخصيات التي يتعامل معها الطفل تزيد من تجاربه الاجتماعية وتدعم إحساسه بالحقوق والواجبات وتقدير المسؤولية، وتعلمه آداب التعامل مع الغير.

ويمكن إيجاز دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية في ما يأتي :-

١- تنمية الأفراد وإعدادهم للقيام بدورهم في الحياة ، وإعدادهم لمواجهة وقيادة التغيرات التي تحدث في المجتمع، وغرس الولاء لمجتمعهم، وتزكية الشعور الوطني (٢٤).

٢- أن المدرسة أصبحت مسئولة عن تعليم الأخلاق والدين والقيم الروحية للأفراد وتعريفهم بالمشكلات الاجتماعية وكيفية مواجهتها وتوفير الفرص المختلفة للنمو(٢٥) .

٣- أن المدرسة بحكم أنها أصبحت تضم القاعدة الشعبية العريضة من النشئ في المجتمع، وهذا العدد الضخم من أفراد المجتمع مختلف من النواحي الاقتصادية والاجتماعية حسب الطبقة الاجتماعية أو المستوى الاقتصادي والاجتماعي الذي يأتي منه هؤلاء الأفراد ، ومن خلال مرحلة الدراسة ونظمها يتعرض كل هؤلاء الأفراد لمؤثرات ثقافية واحدة تقرب فيما بينهم ويحدث تفاعل اجتماعي بينهم في المدرسة(٢٦).

٤- أن المدرسة تعطي الفرد مكانته الاجتماعية القائمة على أساس موضوعي هو تحصيل المعرفة والقيام بواجباته(٢٧).

٥- تقوم المدرسة باستبدال العادات والتصرفات والانتماءات البالية التي لم تعد صالحة بعادات وانتماءات جديدة وصالحة للعمل (٢٨).

٦ـ تقوم المدرسة بدور هام في تكوين وبناء القيم والمعايير وإكسابها للطفل، كما يقوم المعلم في الجو المدرسي بدور هام بالنسبة لمشاركة التلاميذ ومعرفة مستويات إنجازهم وذكائهم، مما يكون له أثر هام في تكوين شخصية الطفل(٢٩)

٧ـ كما أن مدارس رياض الأطفال يمكن أن تلعب الكثير من الأدوار في مجال التنشئة الاجتماعية للأطفال مثل اكتساب المبادئ والقيم والمعايير المتصلة بالتنشئة الخلقية، وهي من الجوانب الحيوية في تشكيل شخصية الفرد، وفي تحديد إطاره القيمي الذي يعمل بمثابة معيار أو موجه لسلوكه(٣٠)

٨ـ كما أن المدرسة تهيئ للتلاميذ إمكانية التكيف مع كل تغيير يحدث في المجتمع وعلى ذلك فالمدرسة تصبح تنظيما وبناء لمجموعة من القواعد التي يجب أن يتوقعها الفرد وعليه الطاعة والامتثال، وفي نفس الوقت تحاول المدرسة أن تشبع حاجات الطالب باعتباره فردا حيث تتيح له العديد من الفرص والإمكانات لإظهار قدراته في كسب المهارات والاتجاهات الاجتماعية.

دور المعلم في التنشئة الاجتماعية

تحدده (نبيلة الشوربجي) في ما يأتي: (٣١)

١ـ المعلم كدور اجتماعي مستمر دائم التأثير في التلميذ

٢ـ المعلم كممثل للسلطة يقدم القيم العامة، وأن اختلف عن غيره من المعلمين سنا أو جنسا أو فلسفة .

٣ـ المعلم نموذج سلوك حي يحتذي به التلميذ ويتقمص شخصيته

الحياة المدرسية مجتمع مصغر، يتيح للطفل فرصة الانتقال من المحيط الأسري الصغير إلى نسيج علائقي أوسع، تتباين فيه الشخصيات الراشدة الساهرة على تدبير شؤونه. ويجد نفسه يشترك في علاقات جديدة ومباشرة مع جماعة الأنداد، مما ينسج في حياته تفاعلات نفسية وإنسانية أخرى، ويحدد لديه أنماط سلوكية اجتماعية أوسع، تخضع لقوانين ونظام، ولكن هناك من العوائق التي تحد من أداء المدرسة لدورها في عملية التنشئة الاجتماعية .

العوامل التي تحد من دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية

١ـ من خلال تجربتي الشخصية بالعمل في مجال إعداد المعلم والمعلمة في أكثر من قطر عربي ، أرى أن العامل الرئيس هو ضعف إعداد المعلم التربوي .

٢ـ نظام المنهج المدرسي الذي يرتكز علي الجوانب المعرفية ويهمل الجوانب الأخرى ، فالمؤسسات التعليمية تركز على" المادة الدراسية لدرجة استثناء جوانب النمو الاجتماعي والوجداني والأخلاقي والنفسي لدى الطلاب" (٣٢)،ومن ثم أصبحت غير قادرة على إحداث تنشئة اجتماعية متكاملة.

٣ـ ارتفاع كثافة التلاميذ داخل الفصل

٤. كثرة المهام الملقاة على المعلم مما لا يساعده علي الاهتمام بالجوانب الخاصة بالتنشئة الاجتماعية، والتزامه بخطة تدريس المنهج وفق جدول وترتيب زمن محدد من قبل الإدارات

٥. ما تقوم به المدرسة قد يفسده الإعلام أو الشارع أو الأسرة

ثالثا : المسجد

أن المسجد يقوم بوظيفة التنمية الشاملة للمجتمع الإسلامي، حيث إن *المسجد ليس مكانا للعبادة فحسب، بل إن له جوانب ووظائف عديدة في* مجالات التنشئة الثقافية والاجتماعية والفكرية والعلمية، " كان المسجد في *صدر الإسلام هو المحور الرئيس الذي* دارت حوله حياة المسلمين في جميع الأحوال في السلم وفي الحرب، وفي الأمور العادية وفي الأمور الطارئة، فصار مكانا للعبادة ومكانا للدراسة ومحكمة ووزارة دفاع ووزارة خارجية "(٣٣)

أهمية المسجد ودوره في التنشئة الاجتماعية

تنبثق أهمية المساجد في التنشئة من كونه مصدرا خصبا للمعرفة ومركزا دائما للوعي الديني والرقي الأخلاقي، وتؤثر المساجد في قطاع عريض من الناس بما تقوم به من شرح وتوضيح لأمور الدين والعقيدة وتنمية القيم الخلقية والاجتماعية وتعزيز اتجاهات التراحم والتعاطف والإحسان والتضحية وغير ذلك، كما أنها تعمل علي تكوين رأي مستنير يجمع بين الوعي الديني والاقتناع العقلي في فهم ومناقشة القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تواجه المجتمع المسلم . (٣٤)، وللمسجد دوره في